# د. عايدة عارف النجار
# في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني

د. نيحاء قاسم عبد الهادي[1]

حين يذكر اسم د.عايدة عارف النجار؛ يذكر بارتباطه بقريتها لفتا/ القدس، وبارتباطها بنشاطها المتميز في رابطة الطلاب الأردنيين في القاهرة في الستينيات، ثم رابطة الطلاب العرب في أميركا في السبعينيات، وبالكتابة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والدراسات الأكاديمية، وبإنتاجها عددًا من الكتب التي وثّقت للصحافة الفلسطينية، ولقريتها لفتا، ولمِدينة عمّان: "صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن: 1948 – 1900"، و"بنات عمان أيام زمان"، و"القدس والبنت الشلبية"، و"عزوز يغني للحب؛ قصص فلسطينية من ألف قصة وقصة" و"لفتا يا أصيلة: خرّيفية قرية»، وعبر عدد من الأبحاث والدراسات والمقالات، التي نشرت في صحف ومجلات عربية.

(1) – كاتبة وشاعرة، وناشطة مجتمعية نسوية، ومحاضِرة. هي المؤسِّسة والمديرة العامة، لمؤسسة «الرواة للدراسات والأبحاث»، وهي عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، وفي المجلس المركزي الفلسطيني، وهي عضو مجلس المفوضين (نائب المفوض العام)، في الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، في فلسطين.
وهي المنسقة الإقليمية للمنظمة النسوية: «نساء من أجل السلام عبر العالم». عملت كمستشارة بحثية، لدى «اليونيسيف»، في مصر، و»إدارة تخطيط وتطوير المرأة/ وزارة التخطيط والتعاون الدولي»، ومركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق/ اليونيسكو، في فلسطين، بالإضافة إلى تجارب غنية ومتنوعة طويلة، في مجالات بحثية متعددة، في الدراسات النقدية الأدبية، وفي التاريخ الشفوي، وفي قضايا المرأة، وفي الكتابة السياسية. صدر لها أربعة عشرَ كتاباً، وعشرات الدراسات والمقالات المنشورة، بالعربية والإنكليزية.

هـي الباحثة والصحافية والكاتبـة؛ د.عايدة عارف النجار، التي ولـدت في لفتا، وهُجِّرت منها إلى عمّان – الأردن عام 1948، واستقرّت فيها حتى رحيلها يوم 5 شباط 2020.

*****

تحدثت د.عايدة النجار عن ذكرياتها حول مشاركة المرأة السياسية منذ الثلاثينيات – ضمن مشروع التأريخ الشفوي، نهاية التسعينيات، الـذي بادرت إلى تنفيـذه إدارة المرأة/ وزارة التخطيط والتعاون الدولي.

روت عن نشأتها في بيت جميل، يطلّ على قرية لفتا الجميلة، التي تبعد عن القدس كيلو مترًا واحدًا، وعن تشرّبها الحسّ الوطني منذ نعومة أظفارها، في ظلِّ أسرة علم منفتحة؛ لا تفرِّق بين امرأة ورجل:

«كنّا سـاكنين في بيت حلو كثير، بِيطِـلّ على القرية نفسـها. تحت القرية كانـت تقريبًا بلدية القدس، وكان بيتنا جنب حرش شنلر، من شان هيك أنا باحِبّ كثير كثير الطبيعة والزهور والشجر والألوان، أعتقد أنه إلُه تأثير على شخصيتنا، من الحرش اللي كان جنبنا، كنا نلعب فيه، وكنا نمشي من بيتنا، ونروح على مدرسة المأمونية في طفولتنا.

عيلتنـا كانت كبيرة، إحنا سـبع خَيّـات وأخ وَحداني، وبعدين أمي كانت سـت فاضلة، من السِّـتات الفلاحـات القرويات قَدّ حالهـم، بَاذكُرها زَيّ مـا بَاذكُر أبوي. أختـي الكبيرة أنا تأثّـرت فيها كثـير «عريفة النجار»، كانت متخرّجة من مدرسـة السـليزيان، وكان بيتنا كله تطريز، إشي حلو، كله تطريز من شغلها، ومن شغل اللفتاويات قرايبنا، وكان عندي أختي الكبـيرة، هذول كانت بمدرسـة الشـميدت بالقـدس، فإحنا صَـحّ ب لِفتا، لكن عايشـين بالقدس تقريبًا، جدي الحاج إسـماعيل النجار، شيخ مشايخ القرى، وأبوي كان إلُه مركَزُه، وخالي «يحيى حمودة» كان محامي، ومناضل عريق، كنت أروح مع أمي وخالتي على السجن نـزور الخـال، ونآخذ لُه معنا الجرايد والمناشـير، يخَبّوهـا معنا، وإحنا نعطيـه إياها لَمَّن نروح نزوره ونآخذ له الأكل.

وأنـا طفلة، كنت لِسَّـه بالصفوف الأولى من الابتدائي، بس جَوّ البيت كنت أشـعر إنُّه كثير وطنـي، مثلًا أمي «فطوم حمودة»، وخالتي «عيوش»، هذول أختين، فكانوا دائمًا كيف المرأة الفلاحـة القرويـة؟ فَتّحنـا عِينينا ودارنا كلها ملآنـه رجال على طول، مثـلًا أبوي ما يكُنش موجـود، جدي ما يكُنش موجود، عماتي، وخالتي وأمي وكله، همّه اللي يسـتقبلوا الرجال.

وكان بيتنا مفتوح، بحكم مركز جدي الحاج إسماعيل، وأبوي «علي النجار»، وأخوي، كان من أوائل المتخرجين من الجامعة الأميركية، هذا أثَّر علينا، إنُّه بيتنا كان بيت علم، فكان بيتنا فيه كثير، باتذَكَّر هيك أودَة كبيرة، كان لما يكون واحدة تِحرَد من القرية من لفتا، الطنايب يقولوا لهم، يِجوا عند أبوي يحِلّ لهم المشاكل، لمّا واحدة تِتّطلّق، لما واحدة بدها تتجوّز، بيتنا كان مجتمع بحد ذاته.

وإحنا بيتنا قريب على بيت سيدي، فكان بيتنا وبيت سيدي زَيّ مجتمع بِحَدّ ذاته، كل أهل القرية والقرى الثانية يلِفّوا عليه بالأعراس والأتراح والأفراح».

كما تحدَّثت الكاتبة عن تهجيرها وأسرتها عام 1948، وتؤكد أن دير ياسين كانت نقطة البداية للتهجير القسري:

«دير ياسين كانت السبب، لأنه دير ياسين ولفتا قراب على بعض. كل أهل لفتا كانوا ملاكين مشهورين، واللي إلُه ارض بيكون متمسّك فيها، فلما صارت دير ياسين، حملوا السماعات الكبيرة اليهود وقالوا: يا أهل لفتا، إذا ما طلعتوا بِصير فيكم زَيّ ما صار بـ(دير ياسين)، الهاغانا حطوا القنبلة بالقهوة، على أثرها تركوا الناس القرية.

إحنا كان عنا بيانو أختي وأخوي، وبيتنا كله مفروش مودرن، وتحف؛ غطيناهم بالشراشف، على أساس راجعين، أخذنا الضروري ورحنا على الطوري، لجأنا أول مرّة على أساس نرجع، بعدين لما حِمِيَت الشغلة طلعنا وإجينا على عمان».

وتذكر د.عايدة دور نساء العائلة الإيجابي في تشكيل شخصيتها، حيث كنَّ يشجِّعنها وأشقاءها على نبذ الخوف، والتصرف بشجاعة. روت عن الإرهاب الصهيوني، وعن دور والدها وأهل القرية في الاستعداد لردّ الاعتداءات عليهم:

«إحنا طلعنا سنة الـ48. كنت بِصَفّ خامس ابتدائي، وبعدين طبيعي واعية، باتذَكَّر اليهود، وإحنا كنا كيف نُمرُق من حارتهم، ومَرّات لما تتأزَّم الحالة، نطلع من طريق ثانية بالباص، بس كنا نحِبّ نِمشي بـموشارم، ونروح على المأمونية قريبة، نقول: بدنا نروح المرَّة هذه بالباص، وإللاّ بالسيارة؟ فتقول أمي: إصحوا تخافوا، كانوا يشجّعونا إنُّه نكون شجاعات، وهذه الأرض إلنا، وهذا البلد إلنا. فلَمّا بَلّشت الحوادث – في لفتا كان فيه قهوة في روميما، إلنا دار كبيرة بـروميما، وهي شنلر وروميما قراب، إحنا هناك كنا ساكنين حَطّوا قنبلة على قهوة لفتا، فانقتل وقتها حَدّ من أهل لفتا، فكُنّا نشوف كيف عَمايِل اليهود من البداية، وأنا

صغيرة، كنت أشوف سلاح عِنّا، بيت تحت الدرج.

وبعدين لما تأزَّمت كثير، شفت كل أهل الحارة إجوا عند أبوي، وبَلّشوا يوزّعوا سلاح، كاينين يجمعوا فلوس، علشان يشتروا سلاح لوقت معين. أتذَكَّر أنا أوَّل مَرَّة كنت أشوف البارودة بالشكل هذا من الدار.

منِرجَع لَتأثير العيلة، هذا أخوي كان من أوائل المتخرجين من الجامعة الأميركية، مهندس، أهل لفتا مشهورين بالتعليم لأنه كلهم كان بينهم مهندسين ودكاتره وأطباء ومحامين، وكان أول دكتور الدكتور (علي عاقلة) وموجود. وأخوي من أوائلهم، فلما بِتشوفي خواتك الكبار، وأخوك، كلهم متعلّمين مدارس حتى أجنبية، بتتأثري إنِّك بِدِّك العلم. كان عِنّا العِلم كثير مهم».

*****

تحدثت الكاتبة أيضًا عن تأثير عائلتها على تكوينها الثقافي، وعبر شهادتها نلمس تأثرها الكبير بنساء العائلة:

«أخوي كان من أوائل المتخرّجين من الجامعة الأميركية مهندس، وكان يشتغل بالإذاعة الفلسطينية بالقدس، على أساس عنده برنامج اسمه: «برنامج القرية»، يأخذنا، ونمثِّل عمر بن الخطاب، ونمثِّل التمثيلات الوطنية. أختي الكبيرة عريفه، إلها دور كبير لعبته في مجتمع أهل لفتا بشكل خاص، أنشأت أول مدرسة للبنات، اسمها مدرسة لفتا للبنات، أظن. وهي من بعد ما إجينا على الأردن، كانت نشيطة في مساعدة الفلسطينيين في المخيمات، اشتغلت في الوكالة لفترة طويلة، وأسَّست أول مدرسة بالزرقاء، سنة الـ49 أو 50 ومشّتها من الصفر للتوجيهي. ونفس الشيء أختي «رفقه» اشتغلت في وزارة التربية والتعليم.

أختي «عريفة» بالحركة الوطنية، (سافرت) مع اللي راحوا من الاتحاد النسائي على مصر في الثلاثينيات (1938)، للمشاركة في المؤتمر برئاسة «هدى شعراوي».

أمي وخالتي كانوا مسيَّسات، بيجوز بتأثير خالي «يحيي حمودة»، ما كانوش يحكوا عن أي إشي إلاّ بالسياسة. خالتي «عيوش حمودة» كانت تألِّف أشعار، كانت جميلة، وتلبس أجمل ثياب في المنطقة، وتسوّيهن عند «نجمة» بالقدس. أمي وخالتي وعماتي كان إلهن شخصية لأنه تربّوا في جو منفتح.

اللفتاويات أو الفلاحات عنا بفلسطين كان إلهم دور، والفلاحات شخصيتهن قوية، الجندر

مارسـوه قبل موضة الجندر الحالية، كانوا: منها ست ومنها رجال قَـدّ حالها. بأتذكر أختي «عريفة»، مع مجموعة من سـتات القرية، كلهم قاعديـن في البرندة الكبيرة بتاعتنا، وكان في سلة، عَمّالهم يجمعوا الذهب منشان المجاهدين.

فعلًا تأثرت كثير، لما كنت أقرا الجريدة ألاقي إسم سِتّ؛ أفرَح، وأشوف حالي فيها».

*****

تحدَّثـت الكاتبـة حول ما تذكره عن أهمية الصحف للفلسـطينيين بشـكل عام وللمناضلين بشكل خاص، في الثلاثينيات:

«كان عمري أربع سـنين، في الـ39، كان محبوس خالي في عتليت. حبسـوه على مقالة نشرت بجريـدة الدفـاع، بيرفض الانتداب وبينادي للثورة. حطّـوا الجرايد في صدري، ولما وصلنا هناك بَتذَكّر حطيتهم بين الخبز، كان خالي يقول: هذول أبدى إلي من الخبز. الحرّاس العرب كانوا يسهّلوا من تحت لتحت الجرايد، فأنا باتذَكَّر كلمة خالي، كتبتها بالأطروحة بتاعتي إنه الجرايد بالنسبة إلي أهم من الأكل».

*****

ضمن شهادتها؛ تؤرخ الكاتبة لأول مشاركة نسائية في المظاهرات السياسية في الأردن:

«أتذكّـر قِبيـا، هذه المظاهـرة الكبيرة اللي أوّل مرّة في الأردن سـتات بِتِشـترِك فيها، بـ14/ 3 أظني سنة 54.

كنت ألقي أحاديث الصباح في المدرسـة؛ حرَّضـت البنات. كنت في اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة، وكنت أوّل بنت مَثّلت البنات، فاتّصلت مع الشباب بالمدرسة الإسلامية، ومدرسة الحسـين، وقلـت: خلّينا نطلع مظاهرة. بنات المدرسـة تحَمَّسـوا، كتبت لهـم الهتافات، ضدّ الصهيونيـة، وضـدّ الاحتلال، منشـان قرية قبيـا، بَتذَكّر هذه المظاهـرة، وبعدين مظاهرات كثيرة، فكان إلها صدى كبير».

*****

روت د.عايـدة عـن بدايـات عملهـا في العمـل الصحـافي منـذ صغرها، ثم عـن تخصصها ودراسـتها الأكاديمية، ويتبين من خلال شـهادتها الشفوية؛ ارتباط كتابتها بالسياسة بشكل وثيق:

«كنت وأنا صغيرة أراسل جريدة الحوادث، وجريدة الأخبار، بعدين جريدة الدفاع، الأخبار كنت أنشر فيها وأنا صغيرة، كانت كتابتي وطنية كثير، يحَسّبوني أكبر من سني، مَرَّة كتبت مقالة عنوانها: «سجّل أيها التاريخ»، حطّوا لي إياها بالجريدة جنب مقالة دكتور «إبراهيم بكر»، فلما شافني رئيس التحرير قال لي: إنتِ عايدة النجار؟ إحنا لازم نحُطِّك مع قسم الأطفال، حَطِّناكِ مع «إبراهيم بكر» والكبار.

بعد ما تخرَّجت رجعت للأردن، اشتغلت فترة صغيرة، ورجعت كَمَّلت بأميركا صحافة، كنت من المؤسِّسين لرابطة الطلاب العرب في الجامعة، كَمَّلت للدكتوراة، كتبت الأطروحة شو بيتعلق بالحركة الوطنية اسمها: The Arabic Press & Nationalism in Palestine under the British Mandate

شفت تاريخ الحركة الوطنية من خلال الصحافة، كنت أول واحدة كاتبة عنها، وساهمت في الإنسيكلوبيديا الفلسطينية، الجزء المكتوب عن الصحافة. ساهمت في حوالي 90 اسم من الصحافيين.

*****

العزيزة د.عايدة النجار،

حفرتِ اسمك ليس في قلوب أحبّائك فحسب؛ بل في ذاكرة لفتا، وبنات عمان، وجامعة القدس، وندوة اليوم السابع، والمقهى الثقافي في القدس، وجمعية لفتا الخيرية في رام الله، وجمعية أبناء لفتا المقدسية، وهيئة حماية الموروث الثقافي، ورابطة الكتاب الأردنيين، ومنتدى الفكر العربي، ومنتدى بيت المقدس.

مكانتك يا ابنة فلسطين المخلصة؛ مستقرّة في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.